وقف مركز مكة العالمي للهداية القرآنية
جمعية القلم للدراسات والأبحاث
مؤتمر
هدايات القرآن في بناء الإنسان

عنوان البحث:

مقومات الحضارات الإنسانية من خلال هدايات القصص القرآني

اسم الباحث/ـة

د/ فرح بنت سليم بركة

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله واسع العطاء، والصلاة والسلام على خير الأنبياء، أمَّا بعد:

فقد أرسل الله تعالى رسله بالهدى ودين الحق وجعل هديهم خير هدي يُقتفى في جميع ميادين الحياة ليوصل السائرين على نبراس هداياتهم إلى بناء إنسان قويم يقود العباد للارتقاء الصحيح إلى مجد الإنسان في دار الابتلاء ثم في دار الجزاء، وهذه الورقة البحثية التي بعنوان:(**مقومات الحضارات الإنسانية من خلال هدايات القصص القرآني**)، مشاركة في مؤتمر:

هدايات القرآن في بناء الإنسان، في المحور السادس: الحضارات الإنسانية من خلال هدايات القصص القرآني.

تهدف إلى:

١. تسليط الضوء على بعض مواطن مقومات الحضارة الإنسانية في القصص القرآني

٢. استنباط هدايات يُسترشد بها في ازدهار واقع حضارتنا الإسلامية وفق رؤية قرآنية

٣. بيان تكامل رسالات الأنبياء عليهم السلام في القيم المشتركة التي تحقق تطور الحضارة الإنسانية في مختلف الميادين الاقتصادية، والأخلاقية، والسياسية، والاجتماعية).

المنهجية العلمية:

الوصف ثم التحليل والاستنباط.

الأهمية العلمية أو العملية في مجال الهدايات القرآنية:

حاجة الإنسان في هذا الزمان لعرض نماذج قرآنية تطبيقية للأنبياء عليهم السلام باعتبارهم وأتباعهم حَمَلة لرسالة إلهية لصلاح الإنسانية، مع إبراز

مقومات الحضارات، وترتيب أولوياتها من خلال الاستهداء بمقاصد دعوة الرسل والاعتبار بسنن الله تعالى في خلقه.

خطة البحث:

المقدمة: أهمية البحث، أهداف البحث، منهج البحث، خطة البحث.

التمهيد: تعريف مصطلحات الدراسة(الحضارة الإنسانية، الهدايات، القصص)

مقومات الحضارة من خلال هدايات القصص القرآني:

المقوم الأول: الإيمان بالله تعالى والتصور الاعتقادي الصحيح .

المقوم الثاني: العلم .

المقوم الثالث: العمل.

المقوم الرابع: الأخلاق وأهمها العدل .

المقوم الخامس: الاقتصاد والصناعات .

المقوم السادس: الشمولية والخطاب الإنساني العام.

الخاتمة: النتائج والتوصيات، قائمة المراجع والفهرس.

سائلة الله الهدى والسداد والنفع والرشاد

التمهيد:

تعريف مصطلحات الدراسة: (الحضارة، الهدايات، القصص)

الحضارة لغة: (حَضَرَ) الْحَاءُ وَالضَّادُ وَالرَّاءُ إِيرَادُ الشَّيْءِ، وَوُرُودُهُ وَمُشَاهَدَتُهُ. وَقَدْ يَجِيءُ مَا يَبْعُدُ عَنْ هَذَا وَإِنْ كَانَ الْأَصْلُ وَاحِدًا والحضر خلاف البدو (١)

الحضارة اصطلاحًا: هي : "الصورة الحاضرة التي يبدعها الإنسان لما يعتقده في الكون و الحياة"(٢).

الهدايات لغة:الهاء والدال والحرف المعتل يفيد التقدم للإرشاد، والدلالة بلطف(٣).

الهدايات اصطلاحًا: دلالة القرآن الكريم على الطرق الموصلة إلى الخير، والمانعة من الشر (٤).

ومن أهم مجالات الهدايات التأمل في الأمم السابقة وسنن الله في خلقه، واستشراف المستقبل من خلال قراءة أصدق تاريخ لاستيحاء منهجيات ومقومات الحضارة الإنسانية.

القصص لغة: جمع قِصَّة، والقِصّة: الخبر، وقصّ عليّ خبره يقصُّه قصًا، والقصُّ: البيان، والقَصَص بالفتح: الخبر المقصوص (٥). و"القاف والصاد أصلٌ صحيح يدلُّ على تتبُّع الشَّيء، من ذلك قولهم: اقتصَصْتُ الأثَر

---

(١) كتاب مقاييس اللغة، لابن فاس (ص٧٥)

(٢) مقومات الحضارة وعوامل أفولها عمار بدوي

(٣) يُنظر: مقاييس اللغة لابن فارس، (٣١/٦)، المفردات، للأصفهاني(ص:٥١٦)

(٤) ينظر: الهدايات القرآنية، لطه عابدين، ياسين قاري، فخر الدين الزبير، بتصرف يسير (١/ ٤٤)، كتاب الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية (عرض ومراجعة) لفؤاد أبو الغيث، مجلة الإمام الشاطبي (ع٢٣، ٣٦٠).

(٥) يُنظر: لسان العرب، لابن منظور (٧/ ٧٣ -٧٤).

، إذا تتبَّعتَه (١).

والخُلاصة: أنَّ مادة قصص تدور حول تتبع أو تتابع باطراد مع تسوية، سواء كان التَّتبع ماديًا أم معنويًا كقصِّ الأخبار والكلام، والمعنى المراد من القصَّة: هو الخبر ذو الأمور المتتالية (٢).

القصص اصطلاحًا: "هي الأخبار التي يتبع بعضُها بعضًا، وهي تسجيل لما يحدث في فترة معينة من الفترات، سواء كانت أحداثًا كثيرةً أم حدثًا واحدًا، وتكون هذه الأحداث قد تركت أثراً في النَّفس"(٣).

ويظهر أنّ هناك ترابطًا وتلاقيًا بين التَّعريفين اللُّغوي والاصطلاحي، وأنه لا تباعد بينهما؛ بل إن الاصطلاحي يعتمد كثيرًا على اللُّغوي في أمر الخبر وتتبع الأثر.

وقد وردت مادة (قصص) في القرآن (٣٠) مرة، والذي بمعنى القصة منها ٢٦مرة، والباقي بمعنى القِصاص (٤).

مقومات الحضارة من خلال هدايات القصص القرآني:

المقصود بالمقومات: هي: كل ما يتألف أو يتركب منه جسم، أو جهاز أو مشروع من عناصر أساسية، تسهم في قيامه ووجوده وفاعليته (٥)،

وحيث إن البحث سلسلة متصلة يُبنى على ما انتهى إليه الآخرون اعتمدت من خاض قبلي في غمار هذا الميدان الشريف مع تعديل يسير، وأستشهد على المقومات من مشكاة قصص القرآن الكريم وأستنبط الهدايات من موضع الشاهد.

---

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس (٥/ ١١).

(٢) يُنظر: القصص القرآني، لسليمان الدقور (ص:١٦).

(٣) القصص القرآني رؤية فنّية، لفالح الربيعي (ص:١٨).

(٤) يُنظر: المعجم المفهرس، لمحمد فؤاد (ص:٧٠٢)، القصص القرآني، لسليمان الدقور (ص:٢٠)

(٥) معجم المعاني

المقوم الأول: الإيمان بالله تعالى والتصور الاعتقادي الصحيح.

المقوم الثاني: العلم.

المقوم الثالث: العمل

المقوم الرابع: الأخلاق وأهمها العدل.

المقوم الخامس: الاقتصاد والصناعات.

المقوم السادس: الشمولية والخطاب الإنساني العام.

المقوم الأول: التصور الاعتقادي الصحيح عن معنى الحياة.

ظهر هذا المقوم في كل القصص، فالأنبياء عليهم السلام دعاة توحيد وبُناء حضارة، والحضارةُ وليدةُ الأفكار، وثمرةُ التصورات، والإيمان هم أقوى الدوافع المحركة للإنسان، والأنبياء عليهم السلام هم النموذج الإنساني الكامل المؤيد بالوحي فهم أولى من يحمل للبشرية التصور الصحيح للأسئلة الوجودية التي تحدد كم يُحتاج أن يؤخذ ويعمر من الدنيا ما يكون زادًا للأخرى، وما يقودون به العباد من الظلمات إلى النور.

ومنذ اللحظة الأولى التي وطأت قدم الإنسان الأرض؛ أضاء له الطريق بنور الإيمان به، وتوالى الرُّسل تترى على البشر يحملون لهم أنوار الهداية الربانية، ويضعون لهم معالم الطريق؛ ليكون الإنسان على بينة واضحة من حقيقة وجوده على الأرض، ورسالته فيها؛ فمنذ أنزل الله تعالى الإنسان الأول وعد سبحانه أن ينزل معهم الهدى الكفيل بعيش الإنسان بلا خوف ولا حزن، وهو إنسان له رسالة في الحياة، وكما هو معلوم أن كل تقدم حضاري ينشده الإنسان يدور حول عيشه آمنا رغد العيش، قال سبحانه: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًاۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [البَقَرَة : ٣٨].

وقال سبحانه على لسان نوح عليه السلام واعدا قومه بكثير من مغريات الحياة الطيبة متى آمنوا بالله عز وجل واستغفروه: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْاْ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾ [نُوح : ١١ - ٢٠]

وكذلك هود عليه السلام:

﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [هُود : ٥٢] ؛ لأن المظاهر الحضارية بلا غايات سماوية سماها القرآن نوع من العبث: مثل ماقال هود عليه السلام لقومه: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾﴾ [الشُّعَرَاء : ١٢٨ - ١٣٤]. وعلاقة الإنسان مع الكون؛ هي علاقة تعمير،

كما قال صالح عليه السلام لقومه قال: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾ [هُود : ٦١]

فمما سبق يُستنبط عدة هدايات في مقوم توحيد الله في بناء الحضارات:

١. النظرة للحياة أنها خلقت؛ لتعمّر. وخير ما تعمّر به الحياةُ، العملَ الصالح، بالمفهوم الشامل للعمل كما سيأتي، فالتصور الصحيح للحياة والغاية من الوجود وما دافع أي عمل هي الخطوة الأولى لتعمير الحضارات التي وردت إشاراتها في قصص الأنبياء

٢. نظر القرآن للحياة الدنيا على أنها دار ابتلاء في تحسين الأعمال، وإجادة الأفعال. يحفّز إلى تحسين أعمالهم في الدنيا؛ فكان التصور الصحيح للدنيا والآخرة عاملاً إيجابياً في دفع عجلة العمل، وتحسينه، والحذر من الإساءة فيه،

٣. نظرة الماديين، الذين لايرون من الحضارة إلا جانب الترف، والمتاع، ويغرقون في أوحال المادة، وبحار المتاع، ونسوا أنّ الحضارة فيها أشواق روحية لحياة أبدية يزرعون غرسها هنا وينتظرون ثمرتها هناك، كما دعت لذلك السنة النبوية.

٤. نبّهت دعوة الأنبياء، إلى مسألة ذات أهمية في الحياة الدنيا؛ وهي عدم الاغترار بهذه الحياة، ونسيان أنّ هناك حياة أخرى؛ ليظلّ الإنسان متطلعاً دوما إلى الحياة الآخرة، ويحسّن عمله؛ ولئن كانت الحضارة جسداً؛ فروحها الإيمان، ولئن كانت الحضارة أفكاراً؛ فلبّ أفكارها، وجوهر معدنها؛ هو التصور الاعتقادي الصحيح؛ الذي يلهم أفكارها، ويبلور خططها، وبه تنظر الحضارة إلى مستقبلها.

٥. أولى هذه المقومات هي أن إنسان الحضارة هو إنسان يؤمن بفكرة قوية أو معتقد يرتقي به إلى عالم الرُّوح، وينأى به عن الاهتمام بالحياة الدنيا فقط؛ بل يتطلَّع إلى بناء الحضارة وإعمار الكون استجابةً لهذه العقيدة وتتمثَّل هذه العقيدة في النظرية التربوية الإسلامية، بالعقيدة الإسلامية التي تنظر إلى إنسان الحضارة أنه مكوَّن من جسد ورُوح، ويجب الاهتمام بكلا الجانبين في تربية هذا الإنسان، والعقيدة الإسلامية هي القوة الحقيقية الدافعة لكل عمل خير، فهي الدافعة لعمارة الأرض بمقتضى المنهج الرباني الذي يُنشئ حضارةً إنسانية شاملةً.

المقوم الثاني: العلم:

بالعلم تقوم الحضارات، ويشيد البناء، وتتطوُّر المعارف، مما ينعكس على رخاء حياة الإنسان، ومن خلال النظرة للإنسان في نظرية التربية الإسلامية

يتَّضِح أنه نظر إلى مكونات الطبيعة الإنسانية، أنها تتكوَّن من رُوح، وعقل، ونفسٍ، وجسم، والله سبحانه وتعالى كرَّم الإنسان وفضَّلَه على سائر المخلوقات بالعقل الذي هو مناط التكليف، وأمر الله تعالى الإنسان بإعمال العقل والتفكُّر في المخلوقات؛ قال تعالى: ﴿ قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، ومن خلال التفكُّر في الكون يصل الإنسان إلى وحدانية الله تعالى، وأنه المتفرِّد بالخلق والأمر، ومن خلال التفكُّر في الكون يصل الإنسان إلى السُّنَن والقوانين العلمية التي تُسهِم في ازدهار العلم وتقدُّم البشرية، وبناء الحضارات.

السعي إلى معرفة حقائق الأمور وخصائص الأشياء، وسائر صفاتها والأعمال ونتائجها عن طريق التعلم والتعليم، وتجمع هذه الوسيلة طائفة من عناصر البحث، منها الشغف بالعلم، وحب البحث والمتابعة لإدراك حقائق الأمور، ومنها حث أسس الحضارة الإسلامية على العلم، وتمجيدها للعلماء والمتعلمين، ومنها بيان طرق اكتساب المعارف والعلوم، وموقف الإسلام منها.

الوسيلة الثانية: تطبيق العلم بالعمل، وذلك عن طريق الاستفادة المباشرة من المعارف، وعن طريق الاختراع والابتكار والتحسين، وكان ذلك ظاهرًا من بدء خصائص الإنسان الأول ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ وتقديم تفضيل نعمة العلم على نعمة الملك مهما بدت عظمته: ﴿ولقد آتينا داود وسليمان منا علماً ﴾، ورحل موسى عليه السلام مجمع البحرين طمعا في العلم ﴿لا أبرح حتى أبلغ﴾، وارتفع قدر يوسف عليه السلام بالعلم وابتكر نظاما اقتصاديا بتعليم الله له ﴿مما علمني ربي﴾، ولم يؤمر نبينا عليه الصلاة والسلام بطلب الزيادة الا من العلم ﴿وقل رب زدني علماً ﴾

وهذا العلم الذي تدعو النظرية الإسلامية له لا بد أن يتخلَّق بأخلاقيات العلم، ومن أهمها ألَّا يؤدي إلى دمار البشرية، وفناء الحضارات، فالأخلاق مكوِّن أساسي من مكونات الحضارة كما سيأتي.

المقوم الثالث: العمل

أكثر رسل الله تعالى مع ما في عاتقهم من تبليغ رسالة الله، إلا أنهم كانوا يعملون كذلك بمهن أخرى تصقل من شخصياتهم، ويُهتدى بممارساتهم الفاعلة لبناء الإنسان الفاعل المواكب؛ فلا يكفي توفُّر العقيدة والعلم والأخلاق بدون عمل وفعالية في واقع الحياة، وهذا ما نلمس بعض جوانبه في العصر الحالي؛ حيث تتوافر كافة المقوِّمات الفكرية في نظرية التربية الإسلامية اللازمة لبناء المشروع الحضاري، إلا أنه ينقصها بلورةُ هذه المفاهيم بصورة أكبر تُسهِّل من عملية تطبيقها في الواقع التعليمي التربوي، والنظرة للإنسان في واقع الرسالات تؤكِّد أن الإنسان يجب أن يكون عضوًا فاعلًا ومنتجًا في مجتمعه؛ قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة: ٣٠]، والاستخلاف يقتضي اقتران العلم بالعمل، وهذا ما ظهر جليًّا في كثير من المواطن في القرآن والسنة؛ مما يدعم بناء المشروع الحضاري الإسلامي، فلا حضارة بلا عمل.

المقوم الرابع: الأخلاق وأهمها العدل.

الأخلاق ركيزة من ركائز الحضارة، وهي الروح التي تسري في عروقها؛ فتجمِّلُ صورتها، ولا يعْلَقُ بذاكرة الزمان منها، سوى تلك الشمائل الحميدة، والأخلاق الفاضلة، ويُعدُّ القرآن الكريم كنز الأخلاق، ومستودع جواهرها، ومبعث فضائلها، ومحاسن خصالها. "والأخلاق: علم موضوعه تنظيم النشاط الإنساني" **يقول أحد المنظرين للحضارة** "فلمَّا بحثت في ماهية الحضارة وطبيعتها تبيَّن لي في قوله تعالى:﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾أن الحضارة في جوهرها أخلاقية" والكاتب يتحدَّث عن الأخلاق بصفة عامة،

فكيف بالأخلاق الإسلامية السامية المستمدَّة من القرآن والسنة، والتي تراعي الطبيعة الإنسانية التي فطرت على الخير، فالأخلاق الإسلامية "تُراعي فطرة النفس البشرية كما خلَقها الله تعالى بأبعادها المختلفة، وتوازن بشكل سوي ومنسجم ومتعادل بين العاطفة والعقل، والروح والجسد، وبين الفرد والجماعة، وبين العقيدة والعبادة، وبين الدين والدنيا؛ لقوله تعالى:

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧]، فغاية الأخلاق الإسلامية تحقيق السعادة للإنسان في الدارين الدنيا و"الآخرة".

ومن أهم الأخلاق التي قامت عليها الحضارات؛ العدل فهو مسيرة الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- في بناء الحضارة، ومحور رسالتهم ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾. الميزان؛ تحقيق العدل في الأرض. أما الأخلاق العملية، فهي تستوعب كل مناحي الحياة، وألوان السلوك البشري، وجوانب النشاط الإنساني، في شتى الصُّعُد؛ في الاقتصاد، والسياسة، والحرب، والسّلم، والعداوة، والمحبة، والفرد، والجماعة، والرعية، والحاكم، والأسرة، وشتى أشكال النشاط الإنساني" ولا سبيل للعمارة إلا بالعدل، والعدل الميزان المنصوب بين الخليقة، نصبه الربّ وجعل له قيّماً، وهو المِلك"(١)

المقوم الخامس: الاقتصاد والصناعات والمهن:

في قصص الأنبياء إشارات شتى لأصول المهن والمهارات الفكرية والحرفية المتنوعة فمن ذلك كما ذكر السيوطي في الإكليل مختصرا بتصرف يسير: وأما الجدل فقد حوت آياته من البراهين والمقدمات والنتائج والقول بالموجب

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر. المسعودي، أبو الحسين علي بن الحسين المسعودي. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. بيروت: دار المعرفة. ١٤٠٣هـ١٩٨٣/م. ج١ص.٢

والمعارضة وغير ذلك شيئا كثيرا، ومناظرة إبراهيم أصل في ذلك عظيم. وأما التاريخ ففيه من الأحداث التاريخية الصادقة لكثير من الأمم السالفة،

وفيه من أصول الصنائع وأسماء الآلات التي تدعو الضرورة إليها، فمن الصنائع: **الخياطة** في قوله: {وطفقا يخصفان}، **والحدادة** في قوله تعالى {آتوني زبر الحديد}، {وألنا له الحديد}، والبناء في آيات والنجارة {أن اصنع الفلك}، والغزل {نقضت غزلها}، **والنسيج**: {كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً}، **والزراعة** {أفرأيتم ما تحرثون}، **والصيد**: في آيات، والغوص، {والشياطين كل بناء وغواص} ،{وتستخرجوا منه حلية} .

والصياغة {واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا} ، **والزجاجة** {صرح ممرد من قوارير} .**والفخارة** {فأوقد لي يا هامان على الطين}، **والملاح**ة {أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر}، **والكتابة** {علم بالقلم}، {اذهب بكتابي} **والخبز، والطحن،** {أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه}، **والطبخ** {بعجل حنيذ} .**والغسل، والقصارة،** {وثيابك فطهر} .{قال الحواريون}وهم القاصرون، **والجزارة** {إلا ما ذكيتم}، **والبيع والشراء** في آيات كثيرة، والحجارة {وتنحتون من الجبال بيوتا}، **والكيالة، والوزن** في آيات كثيرة،{أوفوا الكيل} والرمي: {وما رميت إذ رميت}، {وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة}، وفيه من أسماء الآلات وضروب المأكولات والمشروبات والمنكوحات وجميع ما وقع في الكائنات ما يحقق معنى قوله: {ما فرطنا في الكتاب من شيء} .

إلى أن قال: "قد اشتمل كتاب الله على كل شيء! أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسئلة هي أصل إلا وفي القرآن ما يدل عليها" (١)

(١) يُنظر: الإكليل للسيوطي (ص: ١٧-١٨)

المقوم السادس: الشمولية والخطاب الإنساني العام.

الشمولية في الحضارة، مقوِّم قوة لها.

ويُقصد بالشمولية: استغراق حاجات الإنسان كلها، وتغطية كلّ أوجه النشاط الإنساني. فهي شاملة في ذاتها، ومن جهة أخرى، تظهر بصمتُها في كل مناحي الحياة؛ فما من شاردة، ولا واردة، إلا ولها تصور أو إشارة عنه.

والحضارة الخالدة هي تلك التي تتحلى بقدرة تجيب بها على كل استفسارات الإنسان، وأنْ تكون هذه القدرة ذاتية فيها؛ مما يعني وحدة التصور، ووحدة التلقي من مصدر واحد، والدوران في فلك واحد، وعدم التشتت؛ فلا تتعكّز على حضارة أخرى في مسيرتها، ولا تتعثر خطاها، أو تبني مفاهيم متناقضة، أو مهجّنة؛ بحيث تحدث خللاً اجتماعياً، وأخلاقياً، وروحياً، والشمولية تعكس أثراً جمالياً في البناء الحضاري؛ هو التناسق والاتساق مما يجعل الحضارة لُحمةً واحدة، ونسيجاً متكاملاً. والشمول؛ "هو المزية الخاصة في العقيدة الإسلامية؛ وهو المزية التي توحي إلى الإنسان أنه كُلٌّ شامل؛ فيستريح من فصام العقائد التي تغلب جانبا على جانب (١)، فمن أمثلة الشمولية في القصص القرآني تقديم التصور الصحيح عن الإنسان والكون مثل ماتقدمه قصة آدم عليه السلام، وكيف منذ بدء الخليقة تعرف أنه خليفة، كائن قابل للتعلم (وعلم آدم الأسماء كلها)، وقابل للخطأ والذنب، ومرشد لكيفية الخروج الصحيح من شعور الذنب بالتوبة إلى الله تعالى بلا أن يكون بينه وبين الله وسائط تمكنه من التخلص من الشعور بالذنب، لاكما تعتقده النصارى من توسط صكوك الغفران، أو الفلسفات الشرقية من تطبيقات ولادة النفس وقوانين الجذب والتسامح، فمعصية آدم وحواء عليهما السلام انتهت بالتوبة، ولم تورث

(١) يُنظر: مقومات الحضارة وعوامل أفولها عمار بدوي

لذريتهما، كما يعتقد أصحاب الخطيئة الأصلية فكل يحاسب بعمله، وبما قدمت يداه فلا يستوي المحسن مع المسيء فلا يوجد مخلِّص في الإسلام اعتمادًا على مبدأ المسؤولية الشخصية وقدرة الإنسان على تحقيق النجاة دون أن يتحمل خطيئة أحد، ولا يُحمل هو تبعية أخطائه على الآخرين، فالقصة تنظم علاقة العبد بربه، وكذلك تشكل العلاقة بين الذكر والأنثى فمنذ البدء قال الله لآدم عليه السلام: (اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا منها رغداً حيث شئتما) **ويؤخذ من ذلك هدة هدايات:**

١. كانت العلاقة البشرية الأولى هي: الزوجية؛ فهي الطريق للعلاقات والروابط الأسرية بعدها واللبنة الأولى لها، فكل العلاقات السابقة لن تسبق الزوجية الأولى؛ فمن يُزهِّد برابطة الزواج، ويرى أنه لا حاجة لنا بها، يخالف أصلا نشأت عليه الخليقة البشرية منذ نشوئها، فكيف تكون حضارة لا أفرد فيها.

٢. لم يشأ الله تعالى لآدم عليه السلام أن يعيش منفردا لوحده لا يحتاج إلى أحد، ولا يُحتاج إليه، ولم يخلق حواء عليها السلام كذلك لتعيش وحدها وتحقق استقلاليتها بعيدًا عن آدم. فتنظيم العلاقة بين الجنسين في تكامل ومعرفة كل واحد منهما دوره وحدوده مع الآخر وتنظيم الارتباط بينهما مما يحقق السكن والطمأنينة النفية والأسرية التي منها تنطلق الازدهارات الحضارية الراقية أخلاقياً.

٣. (وبث منهما) علاقة النسل بهما معاً، لا بواحد منهما، ولا بمثيل من نفس جنسه، كما يريد من شذ عن الفطرة السوية، التي تنحدر بالإنسان أخلاقياً وحضارياً، كما ظهر ذلك جلياً في قصة قوم لوط، ففي قوله رجالاً كثيراً ونساءً) تباين الجنسين يبين لنا أنه مهما طُليت الأفكار المنحرفة عن الفطرة بأبهى الألوان، تبقى سُمّيتها وضررها على الفرد والمجتمع هي الأصل الذي لا يخفى على عقلاء البشر فضلًا عن عقلاء المسلمين، والوعي بمثل هذه

الأخطار والأفكار المنحرفة واتخاذ موقف واضح منها فيه إنقاذ للبشرية من الانحدار الحيواني.

٤. وقد شمل قوله (وخلق منها زوجها) العبرة بهذا الخلق العجيب المختلف الشكل والخصائص، والمنة على الذكران بخلق النساء لهم، والمنة على النساء بخلق الرجال لهن، ثم من عليهما بنعمة النسل في قوله: (وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء) مع ما في ذلك من الاعتبار بهذا التكوين العجيب، والتنظيم الأسري المترابط النقي.

٥. وكذلك من الشمولية التي تبنى عليها الحضارات النظرة الصحيحة للعلاقة من الآخرين وضبط مفهوم الحرية كما ظهر الإشارة لذلك بوضوح جلي في قصة ابتلاء آدم عليه السلام بالشجرة، فالحرية في شريعتنا جميلة مريحة، ليست واسعة للغاية لدرجة التوهان، وليست ضيقة جدا لدرجة خانقة تُلجئ للحاجة إلى الروغان، فقد قال لآدم وحواء عليهما السلام (حيث شئتما) ولم يضيق عليهما بصنف ووقت وزمان ومكان واحد، وجعل الممنوع محددا واضحا معللا، فقال: (ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين)

٦. وكذلك شملت القصة من جوانب الشمولية موضوع اللباس والغاية منه، قد كان العري عقوبة على الخطيئة ﴿فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما﴾، فكيف يصبح يومًا موضة؟ أو طريقة للتعبير عن الاحتجاج؟!

٧. وحددت القصة مفهوم الصراعية فلم تجعله بين بني البشر، أو بين الذكر والأنثى كما تدعو لذلك بعض الحركات النسوية التي تنخر في الحضارة الإنسانية، بل جعلت الصراع الحقيقي مع الشيطان العدو الأول للإنسان.

فخلاصة الأمر أن قصة واحدة من قصص القرآن مثل قصة آدم عليه السلام تجدها تشمل على النظرة الشمولية لجوانب الحياة والنظرة للإنسان بإنسانيته وما يصلحه وما يقوم بنهضته.

الخاتمة:

كانت هذه الورقة البحثية عبارة عن مفاتيح وإشارات، لما في قصص الأنبياء من هدايات لمقومات الحضارات، بادية ظاهرة بلا تكلف وتعنت للوصول إلى النظرة المتزنة، فلا نغلو في مسألة المغالاة في قيمة المدنية والحضارة بمعناها المادي وجعلها هي غاية الغايات التي خلق الله الخلق لأجلها، وأرسل الرسل لدعمها، بل تحقيق العبودية الغاية الكبرى الظاهرة التقديم في هرم أولويات بناء الإنسان، ويوجد في ثنايا القصص إشارات تعزز الاهتمام بمقومات بناء الحضارات التي تبدأ بأهم عنصر وهو بناء تصورات ومنطلقات الإنسان وعمارة الإيمان الذي سيدفعه لإعمار ما حوله بالصلاح، واستفراغ الوسع في إعداد القوة في شتى الميادين ومكافحة الفساد، فيكون من المحكمات الشرعية والغايات الرسالية.

المراجع:

١. الإكليل في استنباط التنزيل، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)،تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكاتب، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م

٢. القصص القرآني رؤية فنيّة، لفالح الربيعي، دار الثقافية للنشر، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ– ٢٠٠٢م

٣. القصص القرآني، أهدافه وخصائصه ومنهج الكتابة فيه، سليمان محمد الدقور، دار النفائس، ط: الأولى، ١٤٣٩هـ– ٢٠١٨

٤. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، ط: الثالثة – ١٤١٤هـ

٥. مروج الذهب ومعادن الجوهر. المسعودي، أبو الحسين علي بن الحسين المسعودي. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. بيروت: دار المعرفة. ١٤٠٣هـ١٩٨٣/م.

٦. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي، آوند دانش، للطباعة والنشر–طهران.

٧. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط: الأولى – ١٤١٢هـ

٨. مقاييس اللُّغة؛ لأحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمَّد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٩. مقومات الحضارة وعوامل أفولها من منظور القرآن، عمار توفيق بدوي، رسالة ماجستير، جامعة النجاح، فلسطين، ٢٠٠٥م.

١٠. الهدايات القرآنية، دراسة تأصيلية، إعداد الفريق البحثي: طه عابدين، ياسين قاري، فخر الدين الزبير، جامعة أم القرى، عمادة البحث العلمي، كرسي الملك عبد الله بن عبد العزيز للقرآن وعلومه، مكتبة دار المتنبي، الطبعة الأولى، ١٤٣٨هـ–٢٠١٧م.

الفهرس:

العنوان	الصفحة
التمهيد: تعريف مصطلحات الدراسة (الحضارة الإنسانية، الهدايات، القصص).	٥
مقومات الحضارة من خلال هدايات القصص القرآني.	٦
المقوم الأول: الإيمان بالله تعالى والتصور الاعتقادي الصحيح	٧
المقوم الثاني: العلم	٩
المقوم الثالث: العمل	١١
المقوم الرابع: الأخلاق وأهمها العدل	١١
المقوم الخامس: الاقتصاد والصناعات	١٢
المقوم السادس: الشمولية والخطاب الإنساني العام	١٤
الخاتمة:	١٧
قائمة المراجع	١٨
الفهرس	١٩